معالم الفكر التربوي عند ابن خلدون

علي محمد جبران صالح[1]

المقدمة:

يعد ابن خلدون صاحب رؤية حضارية تسعى لنهضة الأمة من جوانب عدة من أهمها العمران الإنساني والتاريخ البشري. ولقد كان موسوعيا في تناوله لكثير من العلوم التي تخدم فكره للنهضة الحضارية وذلك باهتمامه بالفكر الاقتصادي والتربوي والسياسي وغيرها من حقول العلم. ولقد عرض ابن خلدون المبادىء الأساسية لهذه العلوم وفق منهجية خاصة به في النظر والتفكير والتحليل اعتبرت تميزا كبيرا في زمانه وما بعده. بل إن فكر ابن خلدون يمكن أن يعد واحدا من المناهج الرئيسية للتغيير والإصلاح.

ولأن مناهج التغيير والإصلاح الفكري عبر العصور لا يمكن أن يتم استيعابها إلا بدراسة المنهجية التربوية التي استندت عليها, فان هذه الورقة ستركز على البعد التربوي لفكر ابن خلدون بوصفه واحدا من الأركان الأساسية لمشروع النهضة الحضارية. وبذلك فان هذه الورقة ستقوم بدراسة فكر ابن خلدون دراسة تحليلية نقدية بهدف بيان أهم معالم البعد المعرفي والمنهجي في الفكر التربوي عند ابن خلدون. وسيتم ذلك ضمن عدد من المحاور أهمها حقيقة الإنسان ودوره في البناء الحضاري, حقيقة العلم والتعلم وحقيقة التعليم والتي تتضمن التطبيقات التربوية والممارسات التعليمية: الوسائل التعليمية وأساليب التدريس, والمنهاج: الأهداف, والمحتوى، واللغة المعتمدة, والنظام التعليمي: التعليم الخاص والتعليم العام، ومؤسسات التعليم, وبيئة التعلم.

وبناء على هذه المحاور فان هذه الورقة ستقوم بدراسة أعمال ابن خلدون والمتمثلة أساسا في مقدمته المشهورة بهدف تحديد طبيعة الإسهام الحقيقي الذي أضافه إلى العلم والفكر التربوي. بالإضافة إلى تحديد معالم رؤيته المتكاملة عن العمل التربوي ودوره في صنع الفعل الحضاري على أمل أن يسهم ذلك في فهم واقع الأمة المعاصر وضرورة إيجاد منهجية علمية لرفع مستوى الوعي بالمناهج الفكرية التي تصبو إلى صنع التغيير والإصلاح في الأمة.

[1] دكتوراة في الإدارة التربوية, , أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية- كلية الشريعة وقسم الإدارة وأصول التربية- كلية التربية بجامعة اليرموك, jubran30@hotmail.com و jubran30@yu.edu.jo

وتنبع أهمية دراسة الفكر التربوي عند ابن خلدون من أهمية هذا العالم الموسوعي الذي كانت له إسهامات متميزة في شتى الميادين ومن أهمها الميدان التربوي. لقد استطاع ابن خلدون أن يوظف فكره المتنوع لخدمة الفكرة المحورية في حياته والمتمثلة بالنهضة الحضارية والعمران الإنساني, وهنا تتمثل أهمية هذه الدراسة لكونها ستركز على الإسهامات التربوية لهذه الشخصية ودورها في بناء حضارة الأمة, بالإضافة إلى التركيز على دور هذه الإسهامات في مناهج التغيير والإصلاح في الأمة.

الأدبيات المتوافرة حول الموضوع:

نظرا لأهمية الفكر التربوي بشكل عام وأهميته عند علماء المسلمين الأوائل, الذين سعوا لترسيخ معالم النظرية التربوية من المنظور الإسلامي, فقد عني مفكرو التربية المعاصرون بنتاجات هؤلاء العلماء المؤسسين ومن أهمهم العالم الموسوعي عبد الرحمن ابن خلدون لما له من قدر كبير في إبراز قضايا التربية بمنهجية رصينة وفكر نير يستصحب معه مصلحة الأمة وبناءها الحضاري والعمراني. وبناء على ذلك ظهرت كتب متخصصة في الفكر التربوي عند ابن خلدون[1]. وقد تخصص البعض في فكر ابن خلدون التربوي من خلال أطروحات الماجستير والدكتوراة[2]. أما الكتب المؤلفة حول ابن خلدون, فمعظمها لا يخلو من فصل عن فكره التربوي[3]. وبالنظر في المزيد من ذلك, فإننا نجد عبد الأمير شمس الدين[4] يحلل عوالم التربية عند الرجل في كتابه الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق. لقد عرض فيه عدة جوانب للفكر التربوي عنده من أهمها آراء ابن خلدون في الفلسفة كواحدة من العلوم تارة وأساس لفهم باقي العلوم تارة أخرى بالإضافة إلى آرائه حول التصوف وتقسيم العلوم. يفصل المؤلف أكثر في مسائل عدة هي فلسفة ابن خلدون التربوية وآداب وشروط المعلم والتعليم والأهداف التربوية وطبيعة النهج التعليمي والتربوي بشكل عام. مع ملاحظة أن هناك تفصيلات تربوية كثيرة ومتعددة لم يتم التطرق لها في الكتاب رغم إمكانية التوسع فيها لتحديد معالم المنظومة التربوية المتكاملة.

---

[1] أنظر بانبيلة, حسين عبد الله. **ابن خلدون وتراثه الفكري**. بيروت: درا الكتاب العربي, 1984. وانظر النعي, عبد الله أمين. **المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون**. ليبيا: مركز دراسة جهاد الليبيين, 1992

[2] أنظر خندق, علي حمدان حسين. **الفكر التربوي: النظرية التربوية عند ابن خلدون**. رسالة ماجستير غير منشورة, الجامعة الأردنية, 1979

[3] أنظر علي, عبد الواحد وافي. **عبقريات ابن خلدون**. القاهرة: دار عالم الكتاب, 1973, وأنظر عبد المولى, محمود. **ابن خلدون وعلوم المجتمع**. ليبيا: الدار العربية للكتاب, 1980, وأنظر عويس, عبد الحليم. **التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون**. الدوحة: وزارة الأوقاف, 1996, وأنظر عظمة, عزيز. **ابن خلدون**. بيروت: رياض الريس, 2000

[4] شمس الدين, عبد الأمير. **الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق**. بيروت: دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة, 1986

وفي مقالته بعنوان "ابن خلدون" ضمن كتاب "من أعلام التربية العربية الإسلامية" يركز الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل[1] على الإسهامات التربوية التي قدمها ابن خلدون للفكر النهضوي لهذه الأمة. لذلك نجده يبدأ مقالته بتحديد رؤية ابن خلدون للإنسان ونظرة التربية الإسلامية له. ثم يبين أهمية منظومة القيم والأهداف ضمن الفكر التربوي الإسلامي. ومن ثم يستعرض مجموعة من القضايا التربوية والتعليمية مثل طبيعة المعلم وبعضا من شروطه, وطبيعة المنهاج التعليمي وعلاقته بسيكلوجية التعلم, ثم علاقة العلم بمستوى التحضر لدى البلد المعني. وفي النهاية يعرج إلى بعض من أساليب التدريس التي يراها مناسبة للعملية التربوية الناجحة. مع ملاحظة أن هناك تفصيلات تربوية أيضا كثيرة لم يتم التطرق لها ربما كان ذلك لمحدودية المقالة البحثية كما أشار في مقدمته.

ولنفس المؤلف نجد كتابا بعنوان "ابن خلدون إسلاميا"[2] لنراه يفرد الفصل الثالث فيه كاملا حول علاقة الدين والمعرفة بحسب فكر الرجل. وهنا يبين الكاتب أن ابن خلدون كان يركز في فكره كله على علاقة القضايا المطروحة ومنها قضية المعرفة بتطور العمران في البلد. ثم نراه يذكر تفصيلات فكر الرجل حول طبيعة النفس الإنسانية فيرى أنها ركبت على الخير والشر ولا بد لها من الإقتداء بالدين وذلك لتعهد الوازع الذي يغرسه بالنمو والحماية. ثم يسترسل ليوضح علاقة الإنسان بالفكر وأنماط تفكيره بحسب نظر ابن خلدون له. بعد ذلك وفي صفحات طويلة يوضح رأي ابن خلدون حول الفلسفة. فنجده مع فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال وفلسفة الفن وفلسفة التاريخ وغيرها من الفلسفات لكنه ليس مع فلسفة الإلهيات أو فلسفة ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) بناء على أن العقل البشري والأدوات الحسية التي يعتمدها غير قادرة على سبر أغوار هذا العالم.

فاتح زيوان[3] كتب ورقة بعنوان "المنهج التربوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللسان التربوي الحديث". يشير الكاتب إلى بعض من اللمحات التربوية في فكر ابن خلدون كشروط المعلم مثلا ويذكر هنا ضرورة الاحاطة بمبادىء التعليم وعدم الشدة على المتعلمين, وأهمية الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الانتقاء, ومراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. وبالنسبة لشروط المتعلم فوجد أن ابن خلدون قد ركز في حديثه على أهمية الإصغاء والاستماع الجيد من قبل الطالب, وتوفر

---

[1] خليل, عماد الدين. "ابن خلدون", **من أعلام التربية العربية الإسلامية**. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج, 1988

[2] خليل, عماد الدين. **ابن خلدون إسلاميا**. دمشق: دار ابن كثير, 2005

[3] زيوان, فاتح. "المنهج التربوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللسان التربوي الحديث" مركز العهد الثقافي, 2006 http://www.alahd.com/artc.php?id=2999, تاريخ الدخول: 20\10\2006

الاستعداد للتعلم, بالإضافة إلى مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم. لكن هذه الأفكار التربوية قد طرحت وصفا دون محاولة وضعها في سياق نظام تربوي شامل.

"معالم تربوية عند ابن خلدون" كان عنوان الورقة التي قدمها عبد العزيز قريش[1] في أعمال اليوم الدراسي حول الفكر التربوي عند ابن خلدون بفاس عام 2006. وقد قسم الباحث ورقته على تحديد بعض المبادىء والقوانين التربوية في فكر ابن خلدون. فحول المبادىء ذكر مبدأ الفكر الانساني أنه هو الفارق بين الانسان والحيوان, والعلم والتعليم والتعلم طبع انساني, وارتباط العلوم والادراكات بالمحسوسات, والتعليم عند ابن خلدون يعد من الصنائع. أما عن القوانين التربوية فيذكر منها الانتقال من المحسوس إلى المجرد, وجودة نظام التعليم وجودة تكوين الأستاذ لهما دخل في جودة تعلم المتعلم, وتقديم البسيط على المركب والمعقد وضرورة التدرج في التعليم. لكن هذه المبادئ والقوانين كذلك قد سردت سردا دون محاولة وضعها في سياق نظام تربوي شامل.

أما هذه الورقة فسوف تحاول أن تتناول الفكر التربوي عند ابن خلدون من زاوية ربما يكون فيها بعض الجديد, ذلك أنها ستركز على محاولة تحديد معالم رؤيته المتكاملة عن العمل التربوي وبيان طبيعة دوره في صنع الفعل الحضاري والتي يؤمل أن تسهم في فهم واقع الأمة المعاصر من أجل التأكيد على أولوية إيجاد منهجية علمية تهدف لرفع مستوى الوعي بالمناهج الفكرية التي تصبو إلى صنع التغيير والإصلاح في الأمة.

أولا: سيرة ابن خلدون:

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون. وترجع أسرته إلى أصل يماني حضرمي, إلا أن جده خالد بن عثمان الذي اشتهر فيما بعد باسم خلدون قد دخل الأندلس مع الفاتحين من العرب والذي كان لكثير من أفراده شأن كبير في الأندلس والمغرب من الناحيتين السياسية والعلمية.

وقد نزحت أسرة ابن خلدون من الأندلس إلى تونس في أواسط القرن السابع الهجري حيث ولد هناك في مطلع رمضان سنة 732هـ \ 1332م. وكانت أسرته عريقة في السياسة والعلم إذ كان أبوه معلمه الأول. وقد كانت تونس آنذاك مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب. قرأ على عدد من

[1] قريش, عبد العزيز. "معالم تربوية عند ابن خلدون". اليوم الدراسي حول الفكر التربوي عند ابن خلدون. فاس, 2006

هؤلاء العلماء القرآن وجوده بالقراءات السبع. ودرس كذلك التفسير والحديث والفقه المالكي, كما درس اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب وخاصة الشعر, ثم درس الفلسفة والمنطق وقد برز تفوقه في شتى العلوم.

وفي أواخر عام 751هـ \ 1350م تولى ابن خلدون وهو لا يتجاوز العشرين من عمره وظيفة إدارية عند سلطان تونس. وفي عام 755هـ قدم ابن خلدون إلى فاس ليعينه السلطان ابن عنان عضوا في مجلسه العلمي ثم ما لبث في العام التالي أن عين ضمن كتابه وموقعيه. وبذلك تمكن ابن خلدون أن يعود للدرس والقراءة على العلماء والأدباء فجمع بذلك بين الارتقاء العلمي المستمر وبين الخوض في غمار السياسة.

وطوال فترة تجاوزت الثلاثة عقود من الزمن وضمن مسلسل الصراعات السياسية المختلفة تمكن ابن خلدون من التنقل بين شتى المناصب الإدارية وأتيحت له فرصة التنقل بين كثير من البلدان إلا أن ذلك لم يشبع رغبته في الاستزادة العلمية المرموقة. وفي عام 776هـ قرر ابن خلدون أن يعتزل السياسة ويتفرغ للعلم في واحدة من قلاع المغرب الأوسط والجزائر في قلعة بني سلامة من بلاد توجين. وقد استمر تفرغه هذا زهاء الأربع سنوات تمكن خلالها وفي عام 779هـ من كتابة مقدمته التي تعتبر واحدة من فتوحات الفكر الإسلامي التأصيلي في شتى العلوم والتخصصات. ثم تلا ذلك انجاز "كتاب العبر, وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر, ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في صورته الأولى ليشمل تاريخ الخليقة بكثير من التفصيل.

وفرارا من المشكلات السياسية التي عانى منها طويلا في المغرب, وفي عام 784هـ قصد ابن خلدون مصر بحجة قضاء فريضة الحج. وقد كانت مصر آنذاك موئل التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب. وكان أهل مصر يعرفون الكثير عن ابن خلدون بشهرته الواسعة. وبذلك اتخذ ابن خلدون من أروقة الأزهر مدرسة يلتقي فيها بتلاميذه ليحاضر لهم في الحديث والفقه المالكي ويشرح لهم نظريته في العمران البشري ونشأة الدول وتاريخ العالم.

وقد نال ابن خلدون مقاما عاليا عند السلطان المملوكي الظاهر برقوق والي مصر فعينه في المدرسية القمحية لتدريس الفقه المالكي. وبعد عامين عينه الوالي قاضي قضاة المالكية. لكنه بذلك عاد مرة أخرى إلى بعض الصراعات على المناصب الإدارية فعزل مرات عدة من منصبه في القضاء بسبب الضغينة والحسد والدسائس وأعيد إليه مرات. وقد توفي في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان من عام 808هـ عن ست وسبعين ودفن في مقبرة الصوفية خارج باب النصر.

ثانيا: طبيعة الإنسان ودوره في البناء الحضاري:

تكوين الإنسان:

ينطلق ابن خلدون في نظرته إلى الإنسان من منهجيته الإسلامية الواضحة والمتمثلة بأن هذا الإنسان كل متكامل كما أراد الله له أن يكون دون أي نوع من أنواع التجزيء أو الفصل, ويشير بذلك "أن الإنسان مركب من جزأين: أحدهما جسماني والأخر روحاني ممتزج به, ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به, والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني, يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية, إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة, والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس. وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه".[1]

الإنسان والفكر:

من زاوية أخرى ومن معين التصور الإسلامي نفسه, فان نظرة ابن خلدون للإنسان تميزه عن باقي الكائنات الحية التي وهبها الله روحا, إلا أن الإنسان فاق ذلك بفكره السامي الذي يرشده إلى تحقيق مختلف غاياته في هذه الحياة ويهديه إلى طريق الصواب. يقول في ذلك "... إن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك. وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به, لتحصيل معاشه, والتعاون عليه بأبناء جنسه, والاجتماع المهيئ لذلك التعاون"[2] (ص 468). هذا فيما يتعلق بقضايا الحياة, وأما الآخرة فان الإنسان بفكره كذلك يتمكن من فهم غاية وجوده وتحقيق أهدافه العليا. لذلك فان الفكر الإنساني عند ابن خلدون يهيء البشر لقبول "ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى, والعمل به واتباع صلاح أخراه. فهو مفكر في ذلك كله دائما, لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين, بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر. وعن هذا الفكر تنشأ العلوم ..."[3]. لذلك يعتبره منحة من الله وهبة منه خصها لبني البشر "إن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة, فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته"[4].

بل إن الرجل يربط سلوكيات الإنسان في الحياة كلها بفكره "... فلا يتم فعل الإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض, ثم يشرع في فعلها"[5]. ثم يفصل أكثر في ذلك كون الفكر أساس السلوكيات والأفعال وهو أيضا أساس رئيسي لتلقي العلوم كذلك. إن الفكر الإنساني

---

[1] ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون.** اعتناء ودراسة أحمد الزعبي. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع, 2001م , ص 592

[2] المقدمة ص 468

[3] المرجع السابق, نفس الصفحة وانظر أيضا ص 474

[4] المرجع السابق ص 504

[5] المرجع السابق, نفس الصفحة وانظر أيضا ص 506

عنه "هو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ. تارة يكون مبدءا للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب, وتارة يكون مبدءا لعلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجه إلى المطلوب"[1]. وان كل ذلك مرتبط بقوة فكره الإنساني. وعلى قدر هذه القوة تكون مرتبته في الحياة كما يؤكد "وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته. فمن الناس من تتوالى له السببية في مرتبتين أو ثلاث, ومنهم من لا يتجاوزها, ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست فتكون إنسانيته أعلى"[2] .

الإنسان وأنواع العقل:

وبناء على ما تقدم فان الإنسان عند ابن خلدون يستخدم أنواعا ثلاثة للنشاط الفكري, فنجد العقل التمييزي الذي يؤهله للقيام بما يحتاجه في الحياة, وهناك العقل التجريبي الذي يتعلق بالآراء وما يحتاجه في معاملة بني البشر ثم العقل النظري والذي يؤهله للنظر إلى طبيعة الوجود من حوله. يقول حول ذلك "إن الله تعالى ميز الإنسان بالفكر الذي جعل له, يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي, أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه وهو العقل التجريبي, أو يحصل به في تصور الموجودات غائبا وشاهدا, على ما هي عليه وهو العقل النظري. وهذا الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه, ويبدأ من التمييز, فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة, معدود من الحيوانات, لاحق بمبدئه في التكوين, من النطفة والعلقة والمضغة. وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والأفئدة التي هي الفكر"[3].

الإنسان المستخلف:

بعد ذلك يذكر ابن خلدون أن الله قد سخر للإنسان كل شيء في هذه الحياة "ولما كانت الحواس المعتبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة, وغير المنتظمة إنما هي تبع لها, اندرجت حينئذ أفعال الحيوانات فيها, فكانت مسخرة للبشر. واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه, فكان كله في طاعته وتسخره"[4]. ليحدد بعد ذلك الغاية العظمى من تمييز الله للإنسان بالفكر وتسخيره الكون كله له بقوله "وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: 30). فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان"[5]. وهي كذلك الميزة

[1] المرجع السابق ص 611
[2] المرجع السابق ص 504 وانظر أيضا ص 531
[3] المرجع السابق ص 509
[4] المرجع السابق ص 505
[5] المرجع السابق, نفس الصفحة

الرئيسة التي تؤهله للقيام بدوره الحضاري في بناء العمران البشري الذي يحول حوله فكر ابن خلدون الكلي.

الإنسان الاجتماعي:

وتحقيقا لهذه الغاية الكبرى فان الإنسان عند ابن خلدون اجتماعي بطبعه الذي أوجده الله فيه وهيأه عليه ليتمكن من العيش وفق ما أراد الله والقيام بالمهمات المطلوبة منه على أكمل وجه. يؤكد بذلك على أنه "لا تمكن حياة المنفرد من البشر, ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه. وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته, فهو محتاج إلى المعونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه. وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولا, ثم المشاركة وما بعدها"[1]. وهذا تأكيد على قول بعض الحكماء أن الإنسان مدني بطبعه.

الإنسان وحاجته لعوالم ثلاثة:

إن الإنسان في نظر ابن خلدون يعيش في عوالم ثلاثة أولها: عالم الحس, ونعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالإدراك, ثم نعتبره الفكر الذي اختص به البشر فنعلم منه وجود النفس الإنسانية علما ضروريا بما بين جنبينا من مدارك العلمية التي هي فوق مدارك الحس, فنراه عالما آخر فوق عالم الحس. ثم نستدل على عالم ثالث فوقنا بما نجد فينا من آثاره التي تلقى في أفئدتنا كالارادات والوجهات, نحو الحركات الفعلية, فنعلم أن هناك فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الأرواح والملائكة[2].

ثالثا: حقيقة المعلم والمتعلم:

المعلم ضرورة:

ينظر ابن خلدون إلى المعلم أنه ضرورة من الضرورات الأساسية للعملية التربوية والتي بدونه لا تتم عملية التعلم أبدا بالطريقة الصحيحة. ويؤكد هنا على أهمية وجود المعلم حقيقة ليشرف بنفسه على إيصال المعلومة إلى طالبها بقوله "إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا"[3]. فملكة التعلم لا يمكن أن ترسخ بغير وجود فعال للمعلم أمام تلميذه. وفي مقام آخر يؤكد الرجل أن الطالب لا تصح لديه المعارف والعلوم إلا بتلقي العلم عن المشيخة والتي هي بمقام المعلمين

[1] المرجع السابق ص 505
[2] المرجع السابق ص 506-507
[3] المرجع السابق ص 618

"ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم"[1].

نوعية المعلم و تنوع المعلمين:

لكن ابن خلدون لا يتحدث هنا عن أي نوع من أنواع المعلمين, إنما يتحدث عن الماهر والمتقن منهم والقادر على صنع ملكة العلم عن طلبته. يقول في ذلك "وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته"[2]. ويؤكد الرجل كذلك على ضرورة تنوع المعلمين وتنوع مناهجهم وطرق تدريسهم وأثر ذلك على تطور تفكير الطلبة ومدى رسوخ ملكة التعلم لديهم "فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فلقاء أهل العلوم, وتعدد المشايخ, يفيده تمييز الاصطلاحات, بما يراه من اختلاف طرقهم فيها, فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل. وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات"[3].

المتعلم ولزوم طلب العلم:

تحت عنوان "في أن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طالبها" يشير ابن خلدون أن طالب الصناعة في العموم, والعلم والمعارف في الخصوص لا بد له من أن يتصف ببذل الجهد الكبير في طلبها وتقديم أقصى طاقة يقدر عليها للوصول إلى الهدف المرجو والسبب في ذلك ظاهر كما يقول "وهو أن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجانا, لأنه كسبه ومنه معاشه, إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه, فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع. وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها النفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع, فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم. وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها, ولا يوجه قصد إلى تعلمها, فاختصت بالترك وفقدت للإهمال"[4].

رابعا: العلم والتعلم:

العلم شرف:

ينطلق ابن خلدون في نظرته إلى حقيقة العلم من نفس منطلق الإمام أبي حامد الغزالي الذي أكد أن التربية هي صناعة من أشرف الصناعات. وهنا يؤكد ابن خلدون أن العلم صناعة شريفة راقية لا

[1] المرجع السابق, نفس الصفحة
[2] المرجع السابق ص 436
[3] المرجع السابق ص 618
[4] المرجع السابق ص 439

كباقي الصناعات التي يمتهنها الإنسان. ويمثل على ذلك بحديثه حول الخط والكتابة عندما يصفهما بأنهما من عداد الصنائع الإنسانية. وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. فهي ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية, وهي صناعة شريفة, إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان. ويفصل في ذلك بتأكيده أنها تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد, فتقضى الحاجات, وقد دفعت مؤونة المباشرة لها, ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين, وما كتبوه في علومهم وأخبارهم, فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع. وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم. وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك, تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع[1].

العلم مكتسب:

العلم عند ابن خلدون كله مكتسب بجهد البشر لكن هذا الجهد لا بد أن يكون جهدا مستمرا كي تتحقق غاياته الكبرى. "وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد أن لا تكون حاصلة. فهو كله مكتسب"[2]. إن العلم بهذه الصورة يمكنه أن يزيد من القوة العقلية للإنسان كهدف أساسي من أهدافه العليا. يقول الرجل: "إن النفس الناطقة للإنسان, إنما توجد فيه بالقوة. وان خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولا, ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكا بالفعل وعقلا محضا, فتكون ذاتا روحانية وتستكمل حينئذ وجودها. فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا, والصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة. فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا, والملكات الصناعية تفيد عقلا, والحضارة الكاملة تفيد عقلا"[3].

العلم وتقوية العقل:

وفي مقام آخر وحول أثر العلوم على قوة العقل يأخذ الكتابة مثالا من بين الصنائع الأكثر إفادة لأنها تشتمل على العلوم والأنظار بخلاف الصنائع. وبيانه أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال, ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس, فهو ينتقل أبدا من دليل إلى دليل, ما دام ملتبسا بالكتابة وتتعود النفس ذلك دائما. فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات, وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة, فتكسب بذلك ملكة

[1] المرجع السابق ص 454
[2] المرجع السابق ص 507
[3] المرجع السابق ص 466

من التعقل تكون زيادة عقل. ويحصل به مزيد فطنة وكيس في الأمور, لما تعودوه من ذلك الانتقال"[1].

وفي نفس السياق بل أكثر تحديدا, يبين ابن خلدون أثر العلم على تقوية الذكاء عند الإنسان بقوله "وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية, تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس, ... وان النفس إنما تنشأ بالادراكات وما يرجع إليها من الملكات, فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع إلى النفس من الآثار العلمية"[2].

العلم والحضارة:

وفي موضوع من أكثر الموضوعات أهمية, يربط ابن خلدون بين العلم والحضارة برابط متين عندما يؤكد أن العلم انما يزهو ويزدهر كلما كانت حضارة ذلك البلد مزدهرة. إذا فالعلم والمعرفة وشتى الصنائع مرتبطة بقوة الحضارة وتجذرها في المجتمع. وبذلك فعلى قدر عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها يومئذ, واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة. وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط, خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار[3]. ويفصل في ذلك أكثر فيقول "وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات, كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها, فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها, مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله ... وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استبحر العمران الى أن يوجد فيها كثير من الكمالات, ويتأنق فيها في الغاية, وتكون من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها. بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال, لما يدعو إليه الترف في المدينة..."[4].

بل إن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها. والسبب في ذلك ظاهر, كما يقول, وهو أن هذه كلها عوائد للعمران. والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال. وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها. ولهذا فانا نجد في الأمصار التي كانت استبحرت في الحضارة, لما تراجع عمرانها وتناقص, بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأمصار المستحدثة العمران, ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة, وما

[1] المرجع السابق ص 467
[2] المرجع السابق ص 472
[3] المرجع السابق ص 437
[4] المرجع السابق, نفس الصفحة

ذاك إلا لأن أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الأحقاب وتداول الأحوال وتكررها, وهذه لم تبلغ بعد[1].

وحول موضوع العلوم تحديدا فان الرجل يؤكد أنها إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة. "إن تعليم العلم من جملة الصنائع, وان الصنائع إنما تكثر في الأمصار. وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف, تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة, لأنه أمر زائد على المعاش. فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم, انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان, وهي العلوم والصنائع ..."[2]. ويضرب لذلك مثالا حول أسواق العلم بالمغرب عندما كسدت لتناقص العمران وانقطاع سند العلم والتعليم[3].

العلم والعمل:

إن العلم عند ابن خلدون مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل والحياة التطبيقية. "والعلم الحاصل عن الاتصاف ضرورة, هو أوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف. وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم, حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة, فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق, ويجيء العلم الثاني النافع في الآخرة. فان العلم الأول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع, وهذا علم أكثر النظار, والمطلوب إنما هو العلم الحالي الناشئ عن العادة"[4].

الغاية من العلم:

أما الغاية العظمى من العلم عند ابن خلدون فهي بينة تتمثل في تعميق التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى. إذ أن المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس كما يقول, ينشأ عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد, وهو العقيدة الإيمانية, وهو الذي تحصل به السعادة, وأن ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية. ويفصل في الإيمان بعد ذلك أنه أصل التكاليف كلها وينبوعها, وأنه ذو مراتب: أولها التصديق القلبي الموافق للسان, وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي, وما يتبعه من العمل, مستولية على القلب, فيستتبع الجوارح"[5].

---

[1] المرجع السابق ص 438
[2] المرجع السابق ص 473
[3] المرجع السابق ص 475
[4] المرجع السابق ص 498
[5] المرجع السابق ص 498- 499

ضرورة التخصص في العلم:

يؤكد ابن خلدون على قضية هامة تتعلق بضرورة التخصص في العلم وعدم الإبقاء على الحالة الهلامية عند تلقي العلم إنما ينبغي أن يعرف طالب العلم أن له وجهة معينة لا بد أن يصلها إلى مرامها ويحقق أهدافه من خلالها. فتحت عنوان "في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى" يقول "ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها, ورسخت في نفسه, فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء, إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد و لم ترسخ صبغتها. والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان, فلا تزدحم دفعة. ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها. فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة, فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف. وهذا بين يشهد له الوجود... حتى إن أهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة. ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية, فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته, بل يكون مقصرا فيه ان طلبه, الا في الأقل النادر من الأحوال. ومبنى سببه على الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس"[1].

ويحث ابن خلدون المعلم على بعض المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم والمتمثلة في أن لا يخلط على المتعلم علمان معا, فانه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما. ويوضح ذلك بأن في هذا النهج تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر, فيستغلقان معا ويستصعبان, ويعود منهما بالخيبة. وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه, فربما كان ذلك أجدر بتحصيله[2]. وفي مقام آخر أيضا وأثناء حديثه عن فني المنظوم والمنثور من الشعر يذكر أنه لا تتفق الإجادة فيهما معا إلا للأقل والسبب في ذلك أنه ملكة في اللسان, فإذا سبقت إلى محله ملكة أخرى, قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة[3].

خامسا: العلوم:

العلوم ضرورية وشريفة:

يقسم ابن خلدون العلوم بشكل عام إلى ضروري وشريف. ويذكر أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة, لكثرة الأعمال المتداولة في العمران. فهي من الكثرة بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها العد.

---

[1] المرجع السابق ص 441- 442
[2] المرجع السابق ص 611
[3] المرجع السابق ص 646

إلا أن منها "ما هو ضروري في العمران أو شريف في الموضوع, فنخصها في الذكر ونترك ما سواها: فأما الضروري فكالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة. وأما الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب"[1]. وأما سبب كون هذه شريفة فلأن كل هذه الصنائع الثلاث داع لمخالطة الملوك والأعاظم في خلواتهم ومجالس أنسهم, فلها بذلك شرف ليس لغيرها[2].

أصناف العلوم الواقعة في العمران:

أكثر تفصيلا وبناء على الفكر الإسلامي للرجل والمنطلق من الإيمان بالوحي السماوي فانه ينظر إلى العلوم من زاوية أخرى فيقسمها من حيث وسيلة الحصول عليه إلى نوعين أيضا طبيعي ونقلي أو وضعي. "إن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره, وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه. والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية, وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره, ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها, حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها, من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النقلية الوضعية, وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي. ولا مجال فيها للعقل, إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول"[3].

أصناف العلوم العقلية:

للعلوم العقلية عند ابن خلدون أصناف متعددة: "الأول علم المنطق, وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة, وفائدته تمييز الخطأ من الصواب, فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها, ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيا وثبوتا بمنتهى فكره. ثم النظر بعد ذلك عندهم إما في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية أو النفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك, ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو العلم الثاني منها. وإما أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات, ويسمونه العلم الإلهي وهو العلم الثالث منها. والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير"[4]. , ويشتمل على أربعة علوم, وهي تسمى التعاليم.

---

[1] المرجع السابق ص 442
[2] المرجع السابق, نفس الصفحة
[3] المرجع السابق ص 474
[4] المرجع السابق ص531

أولها: علم الهندسة, وهو النظر في المقادير على الإطلاق. أما المنفصلة من حيث كونها معدودة, أو المتصلة وهي إما ذو بعد واحد وهو الخط, أو ذو بعدين وهو السطح, أو ذو ثلاثة أبعاد وهو الجسم التعليمي[1].

وثانيها: علم الأرتماطيقي, (وهو علم العدد أو علم الحساب) وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد[2].

وثالثها: علم الموسيقى, وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد, وثمرته معرفة تلاحين الغناء[3].

ورابعها: علم الهيئة وهو تعيين الأشكال للأفلاك, وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة, والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها, ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها[4].

سادسا: عملية التعليم والتعلم:

التعليم صناعة من الصناعات:

إن التعليم صناعة من الصناعات كما يذكر عنوانا بذلك "في أن تعليم العلم من جملة الصنائع"[5]. ويفهم من ذلك أن مهنة التعليم لا يمكن أن تكون من زاوية نظرية مجردة وإنما تقوم على التجريب والتدريب والخبرة العملية. إذ لا يمكن أن تتعلم الصناعة إلا بالممارسة والمران الطويل. وفي نظره أيضا إن التعليم هو فن من الفنون المكتسبة بالجهد المتواصل والخبرة المستمرة. إن ابن خلدون لا يقتصر في التعليم مجرد إيصال الفكرة وإنما تحتاج العملية التربوية عنده إلماما وتفننا واتقانا. إن الحذق في العلم كما يقول الرجل التفنن فيه والاستيلاء عليه, وإنما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا[6].

---

[1] المرجع السابق ص 538
[2] المرجع السابق ص 535
[3] المرجع السابق ص 532
[4] المرجع السابق ص 540
[5] المرجع السابق ص 469
[6] المرجع السابق, نفس الصفحة

منهجية التعليم:

وللتعليم منهجية علمية موضوعية عند ابن خلدون. فعلى من يمارس عملية التعليم أن يوحد العطاء في موضوع محدد أو في حقل من حقول العلم واحد ولا ينتقل إلى غيره قبل إتقانه وإتمام المقرر فيه. يقول حول ذلك "ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره"[1]. ويحدد سبب ذلك أن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي, وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق, حتى يستولي على غايات العلم, وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل, وهجر العلم والتعليم[2].

هذا مع التأكيد على عدم الإسهاب والإطالة غير الضرورية في علم من العلوم أو إيجاد فجوات زمنية قد تساعد على عدم ترابط جزئيات العلم لدى الطالب. وبذلك يؤكد أنه ينبغي أن لا يطول المعلم على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها, لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض, فيعسر حصول الملكة بتفريقها, ... لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره, وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه[3].

التطبيقات التربوية والممارسات التعليمية:

وهنا سيتم التطرق إلى مسألتين أساسيتين الأولى أهم الوسائل التعليمية المستخدمة والتي يرى ابن خلدون أنها ناجحة في ممارسة العملية التربوية, ثم أهم أساليب التدريس التي أكد عليها الرجل في سياق نظريته التربوية لتحقيق أهداف العملية التعليمية بنجاح.

إن أنجع الطرق والوسائل التعليمية عند ابن خلدون هي ما كانت من لقاء العلماء والمشايخ والأدباء وسائر المعلمين مباشرة تماما كما تلقى العلوم هو بنفسه في بلاد المغرب وذلك لأن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا[4]. ويؤكد ذلك أيضا بقوله إن الطالب "يصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم"[5]. إذا فابن خلدون لا يقتصر على عدد محدد من العلماء والمشايخ والمعلمين إنما يشير إلى

---

[1] المرجع السابق ص 611
[2] المرجع السابق, نفس الصفحة
[3] المرجع السابق, نفس الصفحة
[4] المرجع السابق ص 618
[5] المرجع السابق, نفس الصفحة

ضرورة تنوع المعلمين بتنوع معارفهم وتنوع أساليبهم ومناهجهم في التدريس فتتنوع الخبرات المستفادة منهم وتتوسع آفاق طلبة العلم باختلاف ما يتلقون.

والرحلة ضرورية عند ابن خلدون كوسيلة من وسائل كسب العلم كدلالة على الهمة والإرادة القوية والعزيمة المتينة والجدة في طلب العلم. والسبب في ذلك -كما يقول- أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء, وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين عن طريق الرحلة ولقاء العلماء يكون أشد استحكاما في العقل وأقوى رسوخا في الذهن[1]. والرحلة كذلك كما يشير ابن خلدون لا بد منها في طلب العلم, وذلك لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[2].

إن من أهم أساليب التدريس عند ابن خلدون التلقين المباشر بين المعلم والمتعلم لما في التلقي من استفادة سريعة للمسألة ولما فيها من سهولة في إيصال المعلومة. أما طريقة ذلك فيرى أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا, إذا كان على التدريج, شيئا فشيئا وقليلا قليلا, يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب[3]. لكن ابن خلدون لم يقصد أبدا التلقين غير الواعي بل المبني على الشرح والتوضيح. لذلك نجده يؤكد أن على المعلم أن يقرب للمتعلم في شرح المسائل المتقدمة الذكر على سبيل الإجمال بل ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه, حتى ينتهي إلى آخر الفن, وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم[4].

بل يؤكد مرة أخرى على ضرورة أن لا يترك الطالب دون توضيح وشرح إلى مستوى عال يؤهله للوصول إلى مرتبة الحصول على ملكة العلم في ذاك الفن. وهنا يرى ابن خلدون أن على المعلم أن يرجع بالطالب إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها, "ويستوفي الشرح والبيان, ويخرج عن الإجمال, ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه, إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله, فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات"[5].

---

[1] المرجع السابق, نفس الصفحة
[2] المرجع السابق, نفس الصفحة
[3] المرجع السابق ص 610
[4] المرجع السابق, نفس الصفحة
[5] المرجع السابق, نفس الصفحة

لكن ابن خلدون لم يقتصر على هذا الأسلوب من أساليب التدريس بل ركز على أهمية المحاورة والمناظرة والمفاوضة, وعدم الاقتصار على عملية التلقين في الشرح. ويقول في هذا المقام: "وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية, فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها. فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون, وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة"[1].

أسلوب آخر للتعليم يراه ابن خلدون مفيدا وهو الإكثار من الحفظ في المتون العربية لما في ذلك من شحذ للعقل وصقل للسان, وكل ذلك مرتبط أساسا بمدى قوة ملكة علم الطالب. وبذلك فانه "لا بد من كثرة الحفظ, لمن يروم تعلم اللسان العربي, وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته, تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ"[2]. ويؤكد على ما تقدم أيضا أنه "بارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام, ترتقي الملكة الحاصلة لأن الطبع إنما ينسج على منوالها, وتنمو قوة الملكة بتغذيتها. وذلك أن النفس, وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع, فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات"[3].

كأسلوب علمي في التدريس, يرى ابن خلدون ضرورة التدريج في إيصال العلم إلى مختلف الطلبة لما لذلك من أثر كبير في ترسيخ المعارف وخاصة تلك التي تحتاج إلى مهارة وفن وصناعة. يقول الرجل "ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل, بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج, حتى تكمل. ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال. إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة, لا سيما في الأمور الصناعية, فلا بد له إذا من زمان"[4]. وفي مقام آخر يبين أن منهج التدريج يتوافق مع طبيعة فكر الإنسان المبني على تقبل الأشياء شيئا فشيئا حتى تكتمل الصورة جميعا. إن فكر الإنسان ونظره كما يقول ابن خلدون "يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق, وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر, ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له, فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا"[5].

---

[1] المرجع السابق ص 432
[2] المرجع السابق ص 656
[3] المرجع السابق, نفس الصفحة
[4] المرجع السابق ص 436
[5] المرجع السابق ص 469 وانظر أيضا ص 610

رغم ما تقدم إلا أن ابن خلدون وقبل ذلك رأى أن تعلم بعض العلوم يكون أنجع إذا كان كلا في المقام الأول فجزءا, لما في ذلك من إتاحة فرصة انطباع الصورة الذهنية في العقل قبلا ثم يتم بعد هذا التفصيل للأجزاء. ويأخذ مثالا هنا كيفية تعليم الخط بالأندلس والمغرب في أنه لا يتم بتعليم كل حرف بانفراده, على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم, "وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة. ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له, إلى أن يحصل له الإجادة ويتمكن في بنانه الملكة, فيسمى مجيدا"[1]. وليس في ذلك تناقض, فكلا الأسلوبين يتناسبان مع نوعية محددة من مختلف العلوم بطبيعة مفرداتها ومحتواها.

وفي سياق مشابه يرى فيه ابن خلدون أن التعليم ينبغي أن يكون فيه يسر في الطرح ويسر في اختيار الكم العلمي المطلوب, وذلك مرتبط أساسا بفكرة ضرورة التدريج عند تقديم العلم للطلبة. يقول في ذلك "ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط, لكان الأمر دون ذلك بكثير, وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا, ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه, فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها أو تحويلها"[2].

عند شرح مختلف المسائل للمتعلم يرى ابن خلدون ضرورة مراعاة طاقة المتعلم وطبيعة استعداداته المختلفة كي يقع العلم على من يطلبه بالقدر الذي يحتمله. لذلك نراه يؤكد أنه ينبغي أن "يراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه, حتى ينتهي إلى آخر الفن, وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم"[3]. بل نجده يؤكد على مفهوم طاقة الطالب بقوله "ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته ... حتى يعيه من أوله إلى آخره"[4].

لا يمكن أن يكون التعليم نظريا فحسب ما دام المقصد منه هو العمل والتطبيق في الحياة لتحقيق أهداف الإنسان المختلفة ومن أهمها مسألة العمران البشري. وبما أن العلم صناعة من جملة الصناعات -كما أكد ذلك من قبل- فان الصناعة بحاجة إلى تطبيق وتجربة حتى ترسخ لدى طالبها. يقول حول ذلك "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري, وبكونه عمليا هو جسماني محسوس. والأحوال الجسمانية المحسوسة, نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل, لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة, والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى,

[1] المرجع السابق ص 454
[2] المرجع السابق ص 605
[3] المرجع السابق ص 610
[4] المرجع السابق ص 611

حتى ترسخ صورته. وعلى نسبة الأصل تكون الملكة[1]. وتأكيدا على ذلك يؤمن ابن خلدون أن نقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم. فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة على الخبر[2]. وفي مقام آخر يصرح أن التجربة تنمي من العقل الذي يستقبل العلم وبالتالي ترسخ المعرفة بشكل أدق. يقول الرجل "والصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة. فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا, والملكات الصناعية تفيد عقلا, والحضارة الكاملة تفيد عقلا"[3].

يحمل ابن خلدون بأسلوب واضح وغير مسبوق وبلغة شديدة على كل معلم يستخدم الشدة على المتعلمين كأسلوب معاملة ربما يعتقد أنه أسلوب ناجح في التعليم أو تعديل السلوك بل ويرى أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم, سيما في أصاغر الولد, لأنه من سوء الملكة كما يعتقد[4]. ويوضح أثر ذلك السلبي على عقلية ونفسية المتعلم مستقبلا بل وعلى شخصيته كلها بقوله أن "من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم, سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها, وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث, وهو التظاهر بغير ما في ضميره, خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه, وعلمه المكر والخديعة لذلك, وصارت له هذه عادة وخلقا"[5]. ويرى ابن خلدون أن مثل هذا الأسلوب يعيق الإنسان عن فهم ذاته وكيانه وحقيقة إنسانيته المطلوبة لتحقيق غاية وجوده في الحياة والمتمثلة في تحقيق العمران البشري. وعلى ضوء ذلك, يؤمن ابن خلدون أن هذا المنهج يساعد المتعلم على إفساد معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن, وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله. وصار عيالا على غيره في ذلك, بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل, فانقبضت عن غاياتها ومدى إنسانيتها, فارتكس وعاد في أسفل السافلين[6].

سابعا: المنهاج: الأهداف, والمحتوى، واللغة المعتمدة

مقاصد التأليف:

[1] المرجع السابق ص 436
[2] المرجع السابق, نفس الصفحة
[3] المرجع السابق ص 466
[4] المرجع السابق ص 617
[5] المرجع السابق, نفس الصفحة
[6] المرجع السابق, نفس الصفحة

يحدد ابن خلدون أن المناهج التعليمية لا بد لها من غايات واضحة لدى واضعيها ولدى المنتفعين منها. وهو بذلك يرى أن الناس قد حصروا مقاصد التأليف للمناهج التي ينبغي اعتمادها بل وإلغاء ما سواها في سبعة غايات:

أولها: استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسائله, أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره, لتعم المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف, لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة.

وثانيها: أن يقف على كلام الأولين وتآليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه, لتصل الفائدة لمستحقها.

وثالثها: أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته, ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه, فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده.

ورابعها: أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله, ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وخامسها: أن يكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة, فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها, ويجعل كل مسألة في بابها.

وسادسها: أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله, فيفعل ذلك, ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم.

وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهات للفنون مطولا مسهبا فيقصد بالتآليف تلخيص ذلك, بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر, إن وقع, مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول[1].

كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل:

يؤمن ابن خلدون أن المناهج ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة لتحقيق الغايات التعليمية والمتمثلة بالفهم الدقيق لتفصيلات مختلف المعارف والعلوم والعمل بمقتضاها. لذلك لا يرى ضرورة للإكثار من المؤلفات في العلم الواحد إلا إذا اقتضت تفصيلاته ذلك. بل ويؤكد أن في ذلك مضرة للمتعلم لما تستجلب له من صعوبات في الفهم وربط المعاني والأفكار. ويقول في ذلك "انه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم, وتعدد طرقها,

[1] المرجع السابق ص 607- 609

ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك. وحينئذ يسلم له منصب التحصيل, فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها"[1]. ويبرر ذلك أنه لا يمكن أن يفي عمر المتعلم بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها, فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل[2]. ويمكن أن تفهم فكرة ابن خلدون هذه على أن اهتمام الرجل الرئيس هو في الإلمام بالعلم الواحد بأقل القراءات وذلك لاهتمامه الأكبر بالغاية من ذلك وهي التمثل بما تم تعلمه ثم ضرورة توظيفه لخدمة فكرته المحورية حول القيام بمهمة العمران البشري كغاية عظمى للحياة الإنسانية.

كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم:

ورغم ما تقدم إلا أننا نجده في مقام آخر يرفض الاختصارات المؤدية إلى قصور فهم أو قلة علم. إن ذلك لا يمكن أن يخدم الغاية من العلم. فهي إما أن تخلق خللا في التطبيق وخرقا في الإنجاز, أو أنها على الأقل ستنتج علما ناقصا يؤدي إلى جهالة مؤذية. لذلك نجده ينتقد كثيرا من المتأخرين الذين أخذوا يختصرون الطرق والأنحاء في العلوم, يولعون بها كما يقول "ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو قليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم"[3].

العلم والقرآن كمنهج:

يرى ابن خلدون أن أس المناهج التي ينبغي أن لا تفارق منهجا منها هو تعلم القرآن الكريم لما فيه أساس لبناء التوحيد الذي يعد الغاية العظمى للتعلم كما تقدم ذكره. إن تعليم الولدان للقرآن –يقول ابن خلدون– شعار من شعائر الدين "أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم, لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث"[4]. بل يعتقد الرجل أن تعلم القرآن هو أساس بناء ملكات العلم كلها لذلك يرى أن القرآن "صار أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده, لأن السايق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه"[5].

---

[1] المرجع السابق ص 605
[2] المرجع السابق, نفس الصفحة
[3] المرجع السابق ص 609
[4] المرجع السابق ص 614
[5] المرجع السابق, نفس الصفحة

اللغة العربية قبل أي لغة:

كواحدة من مفردات مناهج التعليم أو كأساس للمناهج, يرى ابن خلدون أهمية قصوى لتعلم اللغة العربية قبل أي لغة أخرى. ويرى أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي. والسر في ذلك كما يرى "أن مباحث العلوم كلها إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية, من بين العلوم الشرعية, التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغاتها المؤدية لها, وهي كلها في الخيال, وبين العلوم العقلية, وهي في الذهن. واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني, يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم, وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك. والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر, وروابط وختام عن المعاني. ولا بد في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها لمعرفة دلالاتها اللغوية عليها"[1].

أهمية اللغة لفهم الشريعة:

وفي نفس السياق يبين ابن خلدون أهمية اللغة العربية لفهم الشريعة والتي هي واجبة التعلم لا مناص. وبذلك يرى أن أركان علوم اللسان العربي أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب. ويرى أن معرفتها ضرورية على أهل الشريعة. ويبرر ذلك بأن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة, وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب, وشرح مشكلاتها من لغتهم, فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة[2].

ثامنا: النظام التعليمي

التعليم الخاص والتعليم العام

يؤكد ابن خلدون هنا أن عملية التعلم والتعليم, والعملية التربوية بشكل عام, هي واحدة من مهمات الدولة الرئيسية. إذ لا يمكن للدولة أن تتقدم إلا بنظام تربوي قوي تشرف عليه بشكل مباشر وتولي له أهمية واضحة وهو ما يعرف بالتعليم العام أو الرسمي. وربما لا يلغي ذلك دور المؤسسات الخاصة للتعليم ولكنه يؤكد على الدور الرسمي فيه كواجب على الدولة القيام به على أكمل وجه. يقول الرجل "إن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة, فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات إليها. وما لم تطلبه الدولة, وإنما يطلبها غيرها من أهل المصر, فليس على نسبتها, لأن الدولة هي السوق الأعظم, وفيها نفاق كل شيء, والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة, فما نفق فيها كان أكثريا ضرورة.

---

[1] المرجع السابق ص 621- 622

[2] المرجع السابق ص 624

والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافقة"[1]. وبذلك فانه بقدر اهتمام الدولة بالعلم والتعليم وجودته بقدر ما أنجزت وحققت في الأجيال القادمة.

مؤسسات التعليم

يذكر هنا ابن خلدون نموذجا من نماذج المؤسسات التعليمية وهي مؤسسات التأليف والدواوين وكيف ينبغي أن تكون علاقتها بالدولة والحضارة. ويرى أن الاهتمام بمثل هذه المؤسسات يكون بقدر اتساع الدولة وتصاعد عمرانها. ولقد كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط كما يقول ابن خلدون. وكان سبب ذلك كما يرى "ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة. وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران, بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بحر زاخر في العراق والأندلس, إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديهما. فكثرت التآليف العلمية والدواوين, وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار فانتسخت وجلدت. وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين, واختصت بالأمصار العظيمة العمران"[2]. وبذلك فانه يذكر تحديدا مؤسسات السجلات والتي تعنى بانتساخ العلوم, ومؤسسات الرسائل السلطانية التي تعنى بالمكاتبة والمراسلة, ومؤسسات التآليف التي تهتم بزيادة الكم المعرفي, وأن ذلك كله يتطور بقدر تطور العمران في مختلف الأمصار.

البيئة وأثرها على العلم والتعلم والتعليم

لقد كان ابن خلدون دقيقا عندما ربط بين تقدم العلم والتعليم وبين طبيعة بيئة البلد المتمثلة في مستوى عمرانها وتقدم حضارتها. وبذلك فهو يرى أنه كلما كانت البيئة حضارية ومتقدمة في عمرانها كلما أثر ذلك ايجابيا على المستوى العلمي في ذالك البلد. لذا "فان الصنائع انما تكثر في الأمصار. وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف, تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة, لأنه أمر زائد على المعاش"[3].

ويوضح الرجل هذه المسألة بمثال على ذلك وهو حال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة "لما كثر عمرانها صدر الإسلام, واستوت فيها الحضارة, كيف زخرت فيها بحار العلم, حتى أربوا على

[1] المرجع السابق ص 440
[2] المرجع السابق ص 460
[3] المرجع السابق ص 473 وانظر أيضا ص 437, 438, 475

المتقدمين وفاتوا المتأخرين. ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها, انطوى ذلك البساط عليه جملة, وفقد العلم بها والتعليم, وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام"[1].

خاتمة:

من خلال هذا البحث تتضح أهم معالم الفكر التربوي عند ابن خلدون من خلال ما قدمه من تفصيلات كثيرة في مقدمته المشهورة. لقد تطرق إلى أهم القضايا المتعلقة بالعملية التربوية برمتها. فكما يوضح علماء الإدارة التربوية فان عناصر العملية التربوية هي الطالب والمعلم والمنهاج والوسائل والأساليب التعليمية والبيئة وكذلك الإدارة. لقد تحدث ابن خلدون عن هذه العوالم بدقة في الطرح وكثير من التفصيل مع ربط واضح بمجريات الأحداث التاريخية في عصره وما سبقه.

لقد سبق ابن خلدون في بعض الأفكار التربوية علماء في التربية كثيرون أمثال محمد ابن سحنون (ت 256هـ), وأبو الحسن القابسي (ت 403هـ), الإمام يوسف بن عبد البر (ت 463هـ), أبو حامد الغزالي (ت 505هـ), برهان الإسلام الزرنوجي (ت 593هـ), بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ) وغيرهم إلا أن ابن خلدون قد تميز عنهم بمسألتين أساسيتين:

الأولى: أن ابن خلدون قد طرح أفكاره التربوية بعمق واضح وتفصيل كبير لكثير من جزئيات التربية والتعليم مما يتيح للباحث فرصة ليضع أفكار الرجل في سياق فكر تربوي بين ونظرية تربوية قابلة للدراسة والتحليل.

الثانية: أنه وضع أفكاره في سياق فكر أكبر وأعم من المنظومة التربوية الكبرى في أي بلد من البلدان وذلك عندما أراد لفكره التربوي أن يكون في إطار الفكر العمراني للبشرية والعالم. بذلك استطاع أن يعالج قضايا التربية ضمن منحنى ثقافي حضاري اجتماعي في حين عالج غيره التربية من مداخل مختلفة فقهية كانت أو صوفية أو فلسفية أو أصولية كلامية أو غيرها. واستطاع كذلك أن يوظف هذه الأفكار لخدمة رؤية حضارية اجتماعية قائمة على ضرورة استمرار التطور والعمران البشري للبلد الذي ينشد رقيا وتحقيقا لأهدافه العظمى.

لقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج من أهمها:

- أن الفكر التربوي عند ابن خلدون هو كل متكامل يحمل بين ثناياه أفكار نظرية تربوية عميقة في الفكر والسلوك, وجزئياتها متراصة معا بحيث تشتمل على ما يتعلق بالفرد الطالب

[1] المرجع السابق ص 473

الإنسان والمعلم الجيد الخبير والمنهج المتكامل الشامل والوسيلة الواضحة الناجحة في ظل بيئة قادرة أن تتيح فرصة لتغيير السلوك نحو الأفضل. وإن الفكر التربوي عند ابن خلدون مرتبط ارتباطا وثيقا بنهضة الأمة وقوة عمرانها. فكما أن التربية تسعى لارتقاء الأمة ورفع شأنها وتقوية مقدراتها, إلا أن الارتباط المعاكس وثيق أيضا بحيث نجد تقدم التربية في الدول التي تشتهر بالعمران كما يرى ذلك ابن خلدون. وإن نجاح النظام التربوي في أي بلد قائم على الجدية في التعامل مع هذه القضية الكبرى وقائم أيضا على قدر الجهود المبذولة في تحقيق أهداف التربية الكبرى في صنع المواطن بل الإنسان الصالح وعلى قدر الإيمان بضرورة الاستمرار نحو تطوير العملية التعليمية لتتماشى مع المستجدات الضرورية مع الحفاظ على الأصول والثوابت. إن جودة التعليم وجودة المعلم التي أكد عليها ابن خلدون وبرامج الإصلاح التربوي المستمرة كفيلة بتطوير النظام التربوي نحو الأفضل.

- الإنسان عند ابن خلدون معلما كان أم متعلما هو أداة الفعل الحضارية. الإنسان المفكر بميزته والإنسان الاجتماعي بطبعه والإنسان المستخلف في الأرض بغايته, كل ذلك يوضح معالم منهجيته في التعامل مع مجريات الحياة. فهو لا بد أن يكون صاحب فكر رصين يمكنه من صنع الفعل النهضوي للأمة. وهو صاحب حركة وهمة وتحرك مستمر في المجتمع لإحداث التغيير. وهو صاحب هدف أسمى ورؤية بعيدة تهدف لتحقيق غايات الاستخلاف والوجود في الكون والمتمثلة في صنع التغيير وبناء الأمة.
- العلم شرف وكرامة عند ابن خلدون يجلب لصاحبه الرفعة والمكانة, والتربية والتعليم فن وصناعة. فهي فن بحيث تكون متمثلة بمجموعة من المهارات القابلة للاكتساب والتي يترتب على كل معلم أو مربي بشكل عام أن يتقنها إن هو أراد أن يكون ناجحا بل متميزا في تربيته. وهي صناعة بحيث تكون بحاجة إلى جهود كبيرة تؤدي إلى إنجاز وإنتاج راق في الأفراد والأجيال القادمة. وعملية التعلم لا بد لها من معلم ماهر خبير, ولا بد للمتعلم من بذل جهد كبير في تلقي العلم عن طريق المشايخ والعلماء, تلمذة وملاصقة بجلسات العلم, لما في ذلك من صقل لشخصيات الطلبة وتعليمها حقيقة التعلم, إذ أن من لا يتقن التلمذة لا يمكن أن يتقن يوما ما عملية المشيخة والتعليم. هذا بالإضافة إلى ما للبيئة الايجابية المعنوية والمادية من أثر كبير في تحقيق الأهداف التربوية وخاصة ما يتعلق بالشق المعنوي منها. إن لعمران البلد ووضوح نهضته أثر عميق في رفع معنويات الجيل. وان نهضة الأمة قوة في عزيمة وإرادة, بل وعزة وكرامة لأفراد الأمة, وبالتالي فهي مبعث حقيقي للتقدم العلمي بشتى صوره مما يزيد من التطور والنهوض.

توصي هذه الدراسة بمجموعة من التوصيات كما يلي:

1. القيام بمزيد من الدراسات التحليلية المعمقة والشاملة لفكر ابن خلدون المتناثر في مقدمته الشهيرة. وأعتقد أننا بحاجة إلى فريق بحثي متكامل يقوم بدراسة هذه القضية دراسة شمولية بحيث يتم تقصي ثنايا المقدمة كاملة بالإضافة إلى الأجزاء ذات العلاقة من "كتاب العبر". ويكون الهدف من ذلك الخروج بمنظومة ابن خلدون المتكاملة في التربية وليس مجرد لمحات أو اشراقات أو أفكار تربوية للرجل.
2. تضمين فكر ابن خلدون التربوي والنهضوي الإصلاحي في المناهج الأكاديمية لكليات التربية بشتى تخصصاتها وكلية الآداب وخاصة تخصص علم الاجتماع في شتى جامعات الدول العربية والإسلامية وغيرها. إن على الأكاديميين وبالأخص التربويين أن يبرزوا أهمية دور الفكر التربوي لابن خلدون وغيره ممن أسهموا في هذا الميدان في إصلاح الجيل فكريا وتربويا وسلوكيا وتقدم عمران البلد بشكل عام. ويلحق بذلك ضرورة تضمين مناهج التغيير والإصلاح وخاصة الإصلاح الفكري ما يشتمل عليه فكر ابن خلدون التربوي في النهضة والإصلاح. لا بد لتلك المناهج من الاستفادة من النظرة الشاملة للتربية بكل جوانبها النظرية والسلوكية والمتضمنة في فكر ابن خلدون. ولا بد لها كذلك من التركيز على فكرة نهضة الأمة وعمرانها سواء الأكاديمي أو العلمي أو التقني والتكنولوجي أو شتى ميادينه وربط ذلك بالمسار التربوي والتعليمي. إن ذلك سيسد فجوة كبيرة في الفكر الإصلاحي لدى الكثيرين الذين يحاولون فصل التقدم الحديث في ميادينه المختلفة عن التغيير والإصلاح.
3. على كافة المؤسسات التعليمية خصوصا والتربوية عموما ايلاء العملية التعليمة الأهمية القصوى, إن كان في اختيار المعلم الكفؤ أو إعداده, أو صنع الإنسان الصالح المصلح, أو تأليف المناهج القديرة لتحقيق هذه الغايات الكبرى, أو استخدام الوسائل والأساليب الناجعة والمعتمدة من كبار علماء التربية الأوائل أمثال ابن خلدون وغيره أو علماء التربية المعاصرين القادرين على الجمع بين الأصالة والتأصيل لها وبين المعاصرة الضرورية ولكنها المنضبطة, أو تهيئة البيئة الايجابية المناسبة بشقيها المعنوي والمادي والتي تضمن سير عملية التعليم والتعلم على أكمل وجه.